نساء في القرآن



زينب بنت جحش

اعده وعلق عليه
حامد حسين الفلاحي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الدرس شوط جديد في إعادة تنظيم الجماعة المسلمة على أساس التصور الاسلامي، وهو يختص إبتداءً بإبطال عادة التبنّي، وقد شاء الله أن ينتدب لإبطال هذا التقليد من الناحية العملية رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد كانت العرب تحرّم مطلقة الابن بالتبني حرمة مطلقة الابن من النسب، وما كانت تطيق أن تحلّ مطلقات الأدعياء[1] عملاً إلاّ أن توجد سابقة تقرر هذه القاعدة الجديدة . فانتدب الله رسوله ليحمل هذا العبء فيما يحمل من أعباء الرسالة، وسنرى من موقف النبيّ صلى الله عليه وسلم من هذه التجربة أنه ماكان سواه قادراً على احتمال هذا العبء الجسيم، ومواجهة المجتمع بمثل هذه الخارقة لمألوفه[2] العميق !

وسنرى كذلك أن التعقيب على الحادث كان تعقيباً طويلاً لربط النفوس بالله ولبيان علاقة المسلمين بالله، وعلاقاتهم بنبيّهم، ووظيفة النبيّ بينهم، كل ذلك لتيسير الأمر على النفوس، وتطييب القلوب لتقبل أمر الله في هذا التنظيم بالرضى والتسليم.

ولقد سبق الحديث عن الحادث تقرير قاعدة أنّ الامر لله ورسوله، وأنه ماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لهم الخِيَرَةُ[3] من أمرهم، مما يوحي كذلك بصعوبة هذا الأمر الشاق المخالف لمألوف العرب وتقاليدهم العنيفة : (وماكان لمؤمنٍ ولامؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمراً أن يكونَ لهم الخِيرَةُ من أمرِهِم ومن يَعصِ اللهَ ورسولَهُ فقد ضلَّ ضَلالاً مُبيناً ●)[4].

روي أنّ هذه الآية نزلت في (زينب بنت جحش) رضي الله عنها حينما أراد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يحطم الفوارق الطبقية الموروثة في الجماعة المسلمة، فيردّ

---

(١) الأدعياء: الابناء بالتبنّي .
(٢) مألوفه : ماألفَهُ واعتاد عليه واصبح عُرفاً .
(٣) الخِيَرة : الخيار بين الرفض والقبول .
(٤) الأحزاب ٣٦ .

الناس سواسية كأسنان المشط، لافضل لأحد على أحد إلاّ بالتقوى، وكان الموالي -وهم الرقيق المحرر- طبقة أدنى من طبقة السادة، ومن هؤلاء كان (زيد بن حارثة)[٥] مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تبناه، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق المساواة الكاملة بتزويجه من شريفة من بني هاشم، قريبته: زينب بنت جحش، ليسقط تلك الفوارق الطبقية بنفسه، في أسرته . وكانت هذه الفوارق من العمق والعنف بحيث لايحطمها إلاّ فعل واقعي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، تتخذ منه الجماعة المسلمة أسوة وتسير البشرية كلها على هداه في هذا الطريق .

روى ابن كثير في تفسيره قال: قال العرفي عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله تعالى: (وماكان لمؤمنٍ ولامؤمنة) الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاة زيد بن حارثة رضي الله عنه، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها،

فقالت : لست بناكحته .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى فانكحيه .

قالت : يارسول الله ، أؤامر في نفسي؟

فبينما هما يتحدثان انزل الله تعالى هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وماكان لمؤمنٍ ولامؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورسولُهُ أمراً) الآية .

قالت: قد رضيتَهُ لي يارسول الله منحكاً[٦]؟

(٥) زيد بن حارثة : خرجت به أمه (سعدى بنت ثعلبة) لتزور اهلها، وكان عمره ثمانية أعوام ، فأصابته خيل، وباعوه في سوق (حُباشة)، واشتراه (حكيم بن حزام بن خويلد) ووهبه لعمته (خديجة) رضي الله عنها، ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوهبه منها فوهبته له، فأعتقه وتبنّاه قبل أن يوحى إليه في حراء، وقال: ايامعشر قريش: اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه) . ثم قدم أبوه (حارثة) الى مكة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً وقال له: (إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك)، فقال زيد: بل أقيم عندك، فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فآمن به وصدقه .

قال: نعم .

قالت: إذن لاأعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أنكحته نفسي .

وعن إبن عباس رضي الله عنهما[٧] قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسباً[٨] ؟.وكات امرأة فيها حِدّة، فأنزل الله تعالى:(وماكانَ لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ) الآية.

هذه الرواية تدلّ على منطق البيئة الذي أراد الإسلام تحطيمه، وتولى رسول الله صلى الله عليه وسلم تغييره بفعله وسنته، وهو جزء من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة على أساس منطق الاسلام الجديد، وتصوره للقيم في هذه الأرض، وانطلاق النزعة التحررية القائمة على منهج الاسلام، المستمدة من روحه العظيم .

ونص الآية أعمّ من أي حادث خاص، لقد جاء لإبطال آثار التبنّي، وإحلال مطلقات الأدعياء، وحادث زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها بعد طلاقها من زيد، الأمر الذي كانت له ضجة في حينه، والذي مايزال يتخذه بعض أعداء الاسلام تكأة[٩] للطعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم، ويلفقون حوله الأساطير !

وهذا المقوّم من مقومات العقيدة هو الذي استقرّ في قلوب تلك الجماعة الأولى من المسلمين استقراراً حقيقياً، واستيقنته أنفسهم، وتكيفت به مشاعرهم، هذا المقوّم يتلخص في أنه: ليس لهم في أنفسهم شيء، وليس لهم من أمرهم شيء، إنما هم

---

(٧) رواية ابن لهيعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس .

(٨) لأنه كان عبداً وأعتق، وقد ذكر النسفي في تفسيره (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش بنت عمته (أُمَيمَة) على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى اخوها (عبد الله بن جحش) فنزلت : (وماكانَ لمؤمنٍ ولامؤمنةٍ إذا قضى الله ورسولُهُ أمراً أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرهم). فقالا: رضينا يارسول الله) .

(٩) تكأةٌ: ذريعة وسنداً .

وماملكت أيديهم له، يصرفهم كيف يشاء، ويختار لهم مايريد، وإن هم إلاّ بعض هذا الوجود الذي يسير وفق النظام العام، وخالق هذا الرجود ومدبره يحركهم مع حركة الوجود، ويقسم لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به، لأنهم لايعرفون الرواية كاملة، وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها لأن مايحبونه قد لايستقيم مع الدور الذي خصص لهم! وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح، وإن هم إلاّ أجَراء، لهم أجرهم على العمل .

عندئذٍ أسلموا أنفسهم حقيقة لله، أسلموها بكل ما فيها، فلم يعد لهم منها شيء، وعندئذٍ استقامت نفوسهم مع فطرة الكون كله، واستقامت حركاتهم مع دورته العامة، وساروا في فلكهم كما تسير تلك الكواكب والنجوم في أفلاكها، لاتحاول أن تخرج عنها، ولا أن تسرع او تبطئ في دورتها المتناسقة مع حركة الوجود كله .

وعندئذٍ رضيت نفوسهم بكل مايأتي به قدر الله، لشعورهم الباطن بأن قدر الله هو الذي يصرّف كل شيء، وكل أحد، وكا حادث، وكل حالة، واستقبلوا قدر الله فيهم بالمعرفة المدركة المريحة الواثقة المطمئنة .

وشيئاً فشيئاً لم يعودوا يحسّون بالمفاجأة لقدر الله حين يصيبهم، ولا بالجزع الذي يعالج بالتجمل[10]، أو بالألم الذي يعالج بالصبر، إنما عادوا يستقبلون قدر الله استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمرٍ مألوف في حِسِّه، معروف في ضميره، ولا يثير مفاجأة ولارجفة ولاغرابة !

ومن ثم لم يعودوا يستعجلون دورة الفلك ليقضوا أمراً هم يريدون قضاءه، ولم يعودوا يستبطئون الأحداث لأنّ لهم أرباً[11] يستعجلون تحقيقه، ولو كان هذا الأرب هو نصر دعوتهم وتمكينها! إنما ساروا في طريقهم مع قدر الله، ينتهي بهم الى حيث

(١٠) التجمل : الصبر .
(١١) أرباً : حاجة ومطلباً .

ينتهي، وهم راضون ، يبذلون مايملكون من أرواح وجهود وأموال في غير عجلة ولاضيق[١٢]، وفي غير مَنٍّ ولاغرور، وفي غير حسرة ولاأسف، وهم على يقين أنهم يفعلون ما قدّر الله لهم أن يفعلوه، وأن مايريده الله هو الذي يكون، وأن كل أمر مرهون بوقته وأجله المرسوم .

إنه الاستسلام المطلق ليد الله التي تقود خطاهم، وتصرّف حركاتهم، وهم مطمئنون لليد التي تقودهم، شاعرون معها بالأمن والثقة واليقين، سائرون معها في بساطة ويسر ولين . ثم يجيء الحديث عن حادث زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش، وما سبقه وماتلاه من أحكام وتوجيهات :

(وإذ تقولُ للذي أنعمَ اللهُ عليه وأنعمتَ عليه أمسك عليكَ زوجَكَ واتّقِ اللهَ وتخفي في نفسكَ مااللهُ مُبديه وتخشى الناسَ واللهُ أحقُّ أَن تخشاهُ فلمّا قضى زَيدٌ منها وطَراً[١٣] زوّجناكَها لكي لايكون على المؤمنين حَرَجٌ[١٤] في أزواج أدعيائهم إذا قَضَوا منهنّ وطَراً وكان أمرُ اللهُ مفعولا ● ماكان على النبيِّ من حَرجٍ فيما فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنّةَ الله[١٥] في الذين خَلَوا من قبلُ وكانَ أمرُ الله قدَراً مقدوراً [١٦] ● الذين يُبلّغون رسالاتِ الله ويَخشَونَهُ ولايَخشَونَ أحداً إلاّ الله وكفى بالله حسيبا[١٧] ● ماكان محمّدٌ أبا أحَدٍ من رجالكم ولكن رسولَ الله وخاتَمَ النبيّينَ وكانَ اللهُ بكلِّ شيء عليماً●)[١٨].

مضى في أول السورة إبطال تقليد التبني، وردّ الادعياء الى آبائهم، وإقامة العلاقات العائلية على أساسها الطبيعي (وماجعلَ أدعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم

(١٢) ضيق : تلكأ وتوانٍ .
(١٣) وطراً: حاجة .
(١٤) حرج : إثم .
(١٥) سنة الله: قضاؤه .
(١٦) قدراً مقدوراً : أمراً نافذاً لارادّ له .
(١٧) حسيباً : محاسباً على الاعمال .
(١٨) الاحزاب ٣٧ - ٤٠ .

بأفواهكم واللهُ يقولُ الحقَّ وهو يهدي السَّبيلَ ● أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانُكُم في الدينِ ومواليكم وليسَ عليكم جُناحٌ[19] فيما أخطأتم به ولكن ماتعمَّدت قلوبكم وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً ●)[20]. ولكن نظام التبنّي كانت له آثار واقعية، ولم يكن إبطال هذه الآثار في حياة المجتمع يمضي بالسهولة التي يمضي بها إبطال تقليد التبنّي ذاته، فالتقاليد الاجتماعية أعمق أثراً في النفوس، ولابدَّ من سوابق عملية مضادة، ولابدَّ ان تستقبل هذه السوابق أول أمرها بالاستنكار ، وأن تكون شديدة الوقع على الكثيرين .

وقد مضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زَوَّجَ زيد بن حارثة الذي كان مُتَبنّاه وكان يدعى زيد بن محمد ثم دُعِيَ إلى أبيه، من زينب بنت جحش ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليحطم بهذا الزواج فوارق الطبقات الموروثة، ويحقق معنى قوله تعالى: (إنَّ أكرمَكُم عندَ اللهِ أتقاكم)[21]، ويقرر هذه القيمة الاسلامية الجديدة بفعل عملي واقعي. ثم شاء الله أن يحمل نبيّه بعد ذلك - فيما يحمل من أعباء الرسالة -مؤنة[22] إزالة آثار نظام التبني، فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة، ويواجه المجتمع بهذا العمل الذي لايستطيع أحد أن يواجه المجتمع به، على الرغم من إبطال عادة التبني في ذاتها ! .

وألهم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنَّ زيداً سيطلق زينب، وأنه هو سيتزوجها، للحكمة التي قضى الله بها، وكانت العلاقات بين زيد وزينب قد اضطربت وعادت توحي بأنَّ حياتهم لن تستقيم طويلاً ، وجاء زيد مرة بعد مرة يشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اضطراب حياته مع زينب، وعدم استطاعته المضي معها، والرسول

---

(١٩) جُناح : إثم .
(٢٠) الاحزاب ٤-٥ . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (ماكنا ندعو زيد بن حارثة إلاّ زيد بن محمد، حتى نزلت (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) .
(٢١) الحجرات ١٣ .
(٢٢) تبعة ومسؤولية .

صلوات الله وسلامه عليه رغم شجاعته في مواجهة قومه في أمر العقيدة دون لجلجة[٢٣] ولاخشية، يحسّ ثقل التبعة فيما ألهمه الله سبحانه وتعالى من أمر زينب، ويتردد في مواجهة القوم من رسوله ويحب الرسول له، والذي أنعم عليه الرسول بالعتق والتربية والحب، يقول له: (أمسك عليكَ زوجَكَ واتّقِ اللّهَ) .

ويؤخر بهذا مواجهة الأمر العظيم الذي يتردد في الخروج به على الناس كما قال تعالى: (وتخفي في نفسِكَ مااللّهُ مُبديهِ وتخشى الناسَ واللّهُ أحَقُّ أن تخشاه)[٢٤]. وهذا الذي أخفاه النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه، وهو يعلم أن الله مبديه، ماألهمه الله سبحانه ان سيفعله ، ولم يكن أمراً صريحاً من الله، وإلاّ ماتردد فيه ولاأخّره، ولاحاول تأجيله، ولَجَهَرَ به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان أمام إلهام يجده في نفسه، ويتوجس في الوقت ذاته من مواجهته ومواجهة الناس به، حتى أذن الله فطلّق زيد زوجه، وهو لايفكر لاهو ولا زينب فيما سيكون بعد، لأن العرف السائد كان يعدّ زينب مطلقة ابن لمحمد لاتحل له، حتى بعد إبطال عادة التبني، ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الادعياء، إنما كان حادث زواج النبيّ فيما بعد هو الذي قرر هذه القاعدة، بعد ماقوبل هذا القرار بالدهشة المفاجأة والاستنكار .

وفي هذا مايهدم كل الروايات التي رويت عن هذا الحادث، والتي تشبث بها أعداء الاسلام قديماً وحديثاً وصاغوا حولها الأساطير والمفتريات ! . إنما كان الأمر كما قال الله تعالى :(فلما قضى زيداً منها وطراً زوّجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قَضَوا منهنّ وطراً) .

---

(٢٣) لجلجة : تردد وتلكؤ .

(٢٤) ذكر النسفي في تفسيره أن عائشة رضي الله عنها قالت: (لو كتَمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً مما أوحيَ اليه لكتم هذه الآية) !! . وقال السيوطي رحمه الله: (وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن ، قال: مانزلت على النبيّ صلى الله عليه وسلم آية كانت أشدّ عليه من قوله (وتخفي في نفسك مالله مبديه) .معترك الأقران في أعجاز القرآن -٣ - ص٣٦٣ .

وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة، حملها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حمل، وواجه بها المجتمع الكاره لها كل الكراهية، حتى ليتردد في مواجهته بها، وهو الذي لم يتردد في مواجهته بعقيدة التوحيد وذمّ الآلهة والشركاء وتخطئة الآباء والاجداد ! (وكان امرُ اللّهِ مفعولاً ●)[٢٥].

لامرد له، ولامفرّ منه: واقعاً محققاً لاسبيل الى الحِيدَةِ عنه[٢٦].

وكان زواجه صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها بعد انقضاء عُدَّتها، أرسل إليها رسول الله زيداً، زوجها السابق، وأحبَّ خلق الله إليه، أرسله اليها ليخطبها عليه.

عن أنس رضي الله عنه قال: (لما انقضت عِدَّة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة: (إذهب فاذكرها عليّ).

فانطلق حتي أتاها وهي تخمر عجينها، قال[٢٧]: فلما رأيتها عظمت في صدري[٢٨] حتى ماأستطيع أن أنظر اليها وأقول: إنّ رسولَ اللهِ صلى اللّهُ عليه وسلم ذكَرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي[٢٩] وقلت: (يازينب: أبشري، أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك) قالت: (ماأنا بصانعةٍ حتى أؤامرَ ربي عزّ وجلّ)، فقامت الى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن)[٣٠].

وقد روى البخاري رحمه الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (إنّ زينب بنت

(٢٥) الاحزاب ٣٧ .
(٢٦) الحِيدة عنه : الخروج والبعد عنه .
(٢٧) أيَ زيد بن حارثة رضي الله عنه .
(٢٨) عظمت في صدري : كبرت، لأنها أصبحت زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأمّ المؤمنين .
(٢٩) نكصت على عقبي : رجعت .
(٣٠) رواه مسلم .

جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول: زوّجكُنّ أهاليكُنّ، وزوّجني اللهُ تعالى من فوقِ سبعِ سموات).

ولم تمرّ المسألة سهلة، فلقد فوجيء بها المجتمع الاسلامي كله، كما انطلقت ألسنَةُ المنافقين تقول:

(تزوجَ حليلة ابنه)[31] !!

ولما كانت المسألة مسألة تقرير مبدأ جديد فقد مضى القرآن يؤكدها ويزيل عنصر الغرابة فيها، ويردها الى أصولها البسيطة المنطقية التاريخية:

(ماكانَ على النبيِّ من حَرجٍ فيما فرضَ اللهُ له) .

فقد فرض الله تعالى له أن يتزوج زينب، وأن يبطل عادة العرب في تحريم أزواج الأدعياء، وإذن فلاحرج في هذا الأمر، وليس النبيّ صلى الله عليه وسلم فيه بِدعاً من الرسل .

(سُنَّةَ اللهِ في الذينَ خَلَوا من قبل) فهو أمر يمضي وفق سنة الله التي لاتتبدل، والتي تتعلق بحقائق الاشياء، لابما يحوطها من تصورات وتقاليد مصطنعة لاتقوم على أساس .

(وكانَ أمرُ اللهِ قَدَراً مقدوراً ●)[32].

فهو نافذ المفعول، لايقف في وجهه شيء ولاأحد، وهو مقدّر بحكمة، منظور فيه الى الغاية التي يريدها الله منه، ويعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها، وقد أمر رسوله أن يبطل تلك العادة ويمحو آثارها عملياً ، ولم يكن بدّ من نفاذ أمر الله، وسنة الله هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل: (الذين يُبلِّغون رسالاتِ اللهِ ويَخشَونَهُ ولايخشونَ أحداً إلاّ الله) . فلايحسبون للخلق حساباً فيما يكلفهم الله به

(٣١) حليلة : زوجة .
(٣٢) الاحزاب ٣٨ .

من أمور الرسالة، ولايخشون احداً إلاّ الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيذ .

(وكفى باللهِ حسيباً ●)[٣٣].

فهو وحده الذي يحاسبهم وليس للناس عليهم من حساب .

(ماكان محمداً أبا أحدٍ من رجالكُم) .

فزينب ليست حليلة ابنه، وزيد ليس ابن محمد، انما هو ابن حارثة، لاحرجَ في الأمر حين ينظر اليه بعين الحقيقة الواقعة، والعلاقة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين جميع المسلمين -ومنهم زيد بن حارثة- هي علاقة النبيّ بقومه، وليس هو أباً لأحد منهم: (ولكِن رسولَ اللهِ وخاتَمَ النَبِيّينَ)

ومن ثمَ فهو يشرع الشرائع الباقية ، تسير عليها البشرية وفق آخر رسالة السماء الى الارض، التي لاتبديل فيها بعد ذلك ولاتغيير .

(وكانَ اللهُ بكلّ شيءٍ عليماً ●)[٣٤].

فهو الذي يعلم مايصلُحُ لهذه البشرية ، ومايُصلحُها، وهو الذي فرض على النبيّ مافرض ، واختار له ما اختار، ليُحِلّ للناس أزواج أدعيائهم إذا ماقَضَوا منهنّ وطراً، قضى الله هذا وفق علمه بكل شيء، ومعرفته بالاصلح والأوفق من النظم والشرائع والقوانين .

ان شاء الله تعالى ....

الرسالة القادمة ....

مريم بنت عمران عليها السلام

---

(٣٣) الاحزاب ٣٩ .

(٣٤) الاحزاب ٤٠ .

نساء في القرآن



بســــــــمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيـــــــمِ

(ضَربَ اللهُ مثلاً للذين كفروا امرأةَ نوحٍ وامرأة لوطٍ كانتا تحت عَبدينِ من عبادنا صالحينِ فخانتاهما فلم يُغنيا عنهما من اللهِ شيئاً وقيلَ ادخلا النار مع الداخلين • وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونَجِّني من فرعون وعملِه ونجِّني من القومِ الظالمين •)[١].

والمأثور في تفسير خيانة امرأة نوح وامرأة لوط أنها كانت خيانة في الدعوة، وليست خيانة الفاحشة، امرأة نوح كانت تسخر منه مع الساخرين من قومه، وامرأة لوط كانت تدلّ القوم على ضيوفه وهي تعلم شأنهم مع ضيوفه ! . والمأثور عن امرأة فرعون كذلك أنها كانت مؤمنة في قصره، ولعلها كانت اسيوية من بقايا المؤمنين بدين سماوي قبل موسى، ولايعنينا هنا التحقيق التاريخي لشخص امرأة فرعون[٢]، فالاشارة القرآنية تعني حقيقة دائمة مستقلة عن الاشخاص، والاشخاص مجرد أمثلة لهذه الحقيقة ..

إن مبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا، بعد الأمر بوقاية النفس والاهل من النار[٣]، كما يراد ان يقال لأزواج النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأزواج المؤمنين كذلك: إن عليهن أنفسهن بعد كل شيء، فهن مسؤولات عن ذواتهم ولن يعفيهن من التبعة أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين .

وهاهي ذي امرأة نوح، وكذلك امرأة لوط:

(كانتا تحت عبدين من عبدنا صالحين) .. (فخانتاهما) .. (فلم يُغنيا عنهما من

---

(١) التحريم الآيتين ١٠-١١ .

(٢) اي هل أن امرأة فرعون في هذه الآية هي نفسها التي جاءت في قوله تعالى في سورة القصص (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه) أم أنها امرأة فرعون آخر غير فرعون موسى ؟

(٣) إشارة الي قوله تعالى في آية سابقة لهذه الآيات (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) التحريم الاية ٦ .

الله شيئاً) .. (وقيل: ادخلا النار مع الداخلين ●) ، فلا كرامة ولاشفاعة في أمر الكفر والايمان، وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الانبياء !

وهاهي ذي امرأة فرعون، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون، عن طلب النجاة وحدها، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة الى ربها بيتاً في الجنة، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه، وتبرأت من عمله مخافة ان يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به :

(ونجني من فرعون وعمله)

وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم : (ونجني من القوم الظالمين ●) .

ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صوره، فقد كانت امرأة فرعون اعظم ملوك الارض يومئذ، في قصر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ماتشتهي، ولكنها استعلت على هذا بالايمان، ولم تعرض، عن هذا العرض فحسب، بل اعتبرته شراً ودنساً وبلاءً تستعيذ بالله منه، وتتفلت من عقابيله[٤]، وتطلب النجاة منه ! .

وهي امرأة واحدة في مملكة عريضة قوية، وهذا فضل آخر عظيم، فالمرأة أشد شعوراً وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته، ولكن هذه المرأة .. وحدها .. في وسط ضغط المجتمع، وضغط القصر، وضغط الملك، وضغط الحاشية، والمقام الملوكي ، في وسط هذا كله رفعت رأسها الى السماء .. وحدها ..في خضم هذا الكفر الطاغي ! .

وهي نموذج عال في التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الأواصر، وكل هذه المعوقات، وكل هذه الهواتف، ومن ثم استحقت هذه الاشارة في كتاب الله الخالد، الذي تتردد كلماته في جنبات الكون وهي تتنزل من الملأ الأعلى ...

---

(٤) عقابيله: قيوده وأسواره

نساء في القرآن

هذه هي الحلقة الاولى من (المرأة في ظلال القرآن)،
استعرضنا فيها حياة النسوة اللاتي ورد ذكرهنَّ في القرآن الكريم، وكما
جاء في التفسير القيّم(في ظلال القرآن)
وعسى الله ان يوفقنا لإعداد الحلقة الثانية من هذه السلسلة
والتى سنعرض فيها
كل ما جاء في شأن النسوة في القرآن الكريم من العبادات والمعاملات.

اقرأ في هذه الحلقة:-

(١) أم موسى عليهما السلام ... إمرأة ابراهيم عليهما السلام

(٢) بلقيس عليها السلام ... خويلة رضي الله عنها

(٣) زينب بنت جحش رضي الله عنها

(٤) مريم عليها السلام

(٥) عائشة رضي الله عنها

(٦) امرأة العزيز

موافقة وزارة الاعلام ٣٣ في ١٩٩٤/١/٢٦

مطبعة النواعير رمادي